224589 ـ نصيحة لمن يعمل العمل الصالح ، يبتغي به الدنيا ، ولا يبتغي به وجه الله .

السؤال

ظاهرة غريبة أصبحنا نلاحظها بكثرة في هذا الزمان وهو الالتزام "الظاهري" من أجل نيل مكاسب دنيوية ، فالكثير من المصلين لا يصلون إلا من أجل الدعاء لتلبية شهواتهم ، والحصول على المال والمسكن والمرأة الجميلة وزخرف الحياة وبلا حدود ...!.
والكثير منهم يتوقف أو يترك الصلاة أو يرتد إذا لا حظ أنه منذ أن " التزم" لم يحصل على شيء ، ولم تتحسن حياته المادية ، وفيهم أيضا من إن حصل على شيء من زخرف الدنيا ينتهي عن الصلاة هكذا ، والله المستعان.
وهؤلاء الأصناف من الناس لا تنفع فيهم النصيحة ولا الوعظ ، ولا يعرفون شيئا اسمه تعلم دينك ، واحضر مجالس العلم ؛ كي تفوز في بالدنيا ، وتنجو يوم الحساب ، وتفوز بجنة نعيمها لا ينفد خالدا فيها.

نريد نصيحة لمثل هؤلاء الصنف من أشباه الملتزمين نتعلم منه ونُعلمه للناس .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

شأن الصلاة في الإسلام عظيم ، فهي أحد أركان الدين العظام ، وهي فرقان ما بين الإيمان والكفران ، ولذلك فالمحافظة عليها من علامات الإيمان ، ولا يقال عنها إنها من ظواهر الإسلام فقط ، والالتزام بها والمحافظة عليها من الالتزام الظاهري ، بل إن الالتزام بها التزام بشعبة من أعظم شعب الإيمان ، وعمل هو أفضل أعمال أهل الإيمان ، بعد الشهادتين .
ونحن لا ننكر ـ مع ذلك ـ أن كثيرا من المسلمين يقع في الشرك مع كونه يصلي ، وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة (4204) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: " خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟) ، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: (الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)
حسنه الألباني في "صحيح ابن ماجة " .
فقد يقع المرء في الشرك وهو يصلي ، من حيث يدري ، أو لا يدري !!

وقد سبق في جواب السؤال رقم : (183713) أن الإنسان إذا أراد بعمله الصالح الدنيا ولم تخطر الآخرة له على بال : لم يصح عمله ، ولم يقبل منه ، حتى يريد به وجه الله .

أما إذا عمل العمل وأراد به حسنة الدنيا والآخرة ، فلا حرج عليه في ذلك .

فمن صلى يرائي ، أو صلى ليقال عنه : فلان مصل ، ويعرف بالثناء الحسن في الناس ، أو صلى ليتقرب إلى الله ليستجيب له في حاجته ، فلما قضيت ترك الصلاة ، أو صلى ليتحسن حاله ، فلما لم يتحسن حاله ترك الصلاة : فهذا لم يعمل العمل لله ، وقد روى الإمام أحمد (20715) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ) صححه الألباني في "صحيح الجامع" (2825) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" من صلى ليأخذ ، أو أذَّن ليأخذ : فهذا ليس له أجر في الآخرة ؛ ذلك لأنه أراد بعمله الدنيا ، فلا يكون له إلا ما أراد " .

انتهى من " فتاوى نور على الدرب " (8/ 2) بترقيم الشاملة .

وأصل ذلك أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان صالحا ، وابتغي به وجهه ، وقد روى مسلم (2985) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الإخلاص لله في العبادة معناه : ألا يحمل العبدَ إلى العبادة إلا حب الله تعالى وتعظيمه ورجاء ثوابه ورضوانه ، ولهذا قال الله تعالى عن محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) الفتح/ 29 " .

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (21/ 19) .

فالواجب على المسلم أن يتوجه بقلبه وعمله إلى الله تعالى ، يقصد بعمله وجه الله والدار الآخرة ، ويرجو أن يوفقه الله في أمر دنياه ، فيستعين عليها بأمر دينه ، كما قال تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) البقرة/ 45 ، قال ابن كثير رحمه الله :

" يأمر الله تَعَالَى عَبِيدَهُ ، فِيمَا يُؤَمِّلُونَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (1/ 251) .

فالمؤمن يعمل لله ، ثم تأتي الدنيا تبعا ، وهذا من ثمرة إخلاصه وعمله ، لأن الله يجازيه بحسنتي الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل/ 97

قال ابن كثير رحمه الله :

" هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (4/ 601) .

وقال تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) الطلاق/ 2، 3 .

وروى الترمذي (2465) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ) . وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" .

أما من يعمل العمل يريد به أجر الدنيا ، فإنه لا يصيب من الدنيا إلا ما كتبه الله له ، ويرجع بعمله خاسئا وهو حسير ، لأنه لم يرد به وجه الله ، وكل شيء أريد به غير وجه الله فهو باطل ، قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) الإسراء/ 18، 19 .

وقال عز وجل : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) الشورى/ 20.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" مَنْ لَمْ تَكُنْ نِيَّتُهُ صَالِحَةً ، وَعَمَلُهُ عَمَلًا صَالِحًا لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَإِلَّا كَانَ عَمَلًا فَاسِدًا ، أَوْ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ ، وَهُوَ الْبَاطِلُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) .

وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ " .

انتهى من "مجموع الفتاوى" (28/ 169) .

وقال ابن القيم رحمه الله :

" مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ .

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ.

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آلِ عِمْرَانَ/ 85 . وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ " .

انتهى من "الجواب الكافي" (ص 135) .

فيقال لهؤلاء الذين يصلون لقضاء حاجاتهم الدنيوية : اتقوا الله في دينكم ، واتقوا الله في أنفسكم ، واعلموا أن العامل إذا عمل لوجه الله أصاب نعمة الدنيا والآخرة ، وإذا عمل لغير وجه الله ، رغبة في متاع الدنيا الزائل فإنه لا يصيب منها إلا ما قدره الله له ، ولا يعود عمله عليه إلا بالخسار في الدنيا والآخرة .

ويقال لمن يرتد عن دينه أو يترك الصلاة والعبادة والطاعة إذا لم يحصل على مراده: احذر أن تكون ممن يعبد الله على حرف ، إن أصابه خير اطمأنت نفسه ، وإن أصابه شر ارتد ونكص على عقبيه ، قال الله تعالى :(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج/11 .

قال الشيخ السعدي ، رحمه الله :

" أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان ، لم يدخل الإيمان قلبه ، ولم تخالطه بشاشته، (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ) أي: إن استمر رزقه رغدا ، ولم يحصل له من المكاره شيء ، اطمأن بذلك الخير ، لا بإيمانه ، فهذا، ربما أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه ، (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) من حصول مكروه، أو زوال محبوب (انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي: ارتد عن دينه ، (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ) " .

انتهى من " تفسير السعدي" (ص 534) .

وينظر للاستزادة جواب السؤال رقم : (14258) ، (110715) .

والله تعالى أعلم .